JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

العدد الثلاثون

(١٦٧) (١٨٩)

ظاهرة السطو في الشعر الجاهلي والأندلسي بين المتخيّل والواقعي

م.د صابرين خلف حسين
جامعة ميسان/ كليّة التربية الأساسيّة/ قسم اللغة العربيّة
Sabreenkhalaf@uonmisan.edu.iq

المستخلص:

يُعدُ الاقتحام أو السطو على خدر المرأة ظاهرة شعريّة قديمة تعود جذورها للعصر الجاهلي متمثلة بامرئ القيس فارس ميدانها، وشاركه فيها كثير من الشعراء الجاهليين منهم سحيم بن الحسحاس، وقلّده بها ثلّة من الشعراء على مختلف العصور. والغاية من بحثنا هي تتبع هذه الظاهرة في العصرين الجاهلي والأندلسي –الذي هو ميدان تخصصنا– والوقوف عليهما من حيث التخيّل والواقعية. ففي العصر الجاهلي كانت صور السطو أكثرها متخيلة نابعة من الحرمان الذي كان يعانيه الشاعر والبعد عن المرأة فكان الحرمان محفزاً مهمًا للشاعر وأغلب النصوص كانت تعويضًا نفسيًا، لاسيما إذا كان الشاعر يعاني من الإقصاء كما هو الحال عند سحيم بن الحسحاس الشاعر الجاهلي. أمّا في الشعر الأندلسي فأغلب القصص واقعية والمغامرات حقيقية، عاشها أصحابها واقعًا ماتعًا.

وبدت المرأة في الشعر الجاهلي متمنعة رافضة سطو الرجل على خدرها، متسترة برداء العفة، أمّا في الشعر الأندلسي فالمرأة هي بنفسها تقوم باقتحام خلوة الرجل، فبعد أن كانت ممتنعة في العصر الجاهلي، أصبحت مجاهرة برغائبها شعرًا وفعلًا لا تأبه للمجتمع وعاداته وتقاليده فعلى الرغم من أنَّ المرأة أحدثتْ سلوكًا مستهجنًا اجتماعيًا، لكنها شكلت ملمحًا أدبيًا جديدًا في شعر الغزل.

الكلمات المفتاحيّة: ظاهرة السطو، الشعر الجاهلي، الشعر الأندلسي، اقتحام الخدر.

The Phenomenon of Raiding in Andalusian and Pre Islamic Poetry: Between Imagination and Reality

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

Sabreen Khalaf Hussein
University of Misan/College of Basic Education/
Department of Arabic

Abstract

The act of breaking into a woman's private chamber, or the "raid on the boudoir," is an ancient poetic phenomenon whose roots trace back to the pre-Islamic era, with Imru' al-Qays as its foremost figure. Many other pre-Islamic poets, such as Suhaym ibn al-Hasshas, also practiced it, and a number of poets across different eras imitated this theme. The aim of this research is to trace this phenomenon in both pre-Islamic and Andalusian poetry, examining it in terms of imagination and realism. In the pre-Islamic era, most depictions of such raids were imaginative, stemming from the deprivation experienced by poets and their distance from women. This deprivation served as a major stimulus for poets, and most texts functioned as a form of psychological compensation—especially when the poet faced social exclusion, as in the case of Suhaym ibn al-Hasshas.

In Andalusian poetry, however, most such stories were realistic and the adventures truly lived by their protagonists. As for the woman's role, in pre-Islamic poetry she appears resistant, rejecting the man's intrusion upon her chamber and shrouding herself in the cloak of chastity. In Andalusian poetry, by contrast, the woman herself becomes the one who intrudes upon the man's private space. Having once been reserved and reluctant in the pre-Islamic era, she now openly declares her desires in both verse and deed, disregarding societal customs and traditions. Although her actions introduced socially disapproved behavior, they also created a new literary feature in love poetry.

Keywords: Boudoir raid phenomenon, Pre-Islamic poetry, Andalusian poetry, breaking into the chamber.

ظاهرة السطو في الشعر الأندلسي والجاهلي بين المتخيل والواقعي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

حظيت المرأة بمكانة سامقة في نفوس العرب قديماً وحديثًا لاسيما الشعراء، فكان جلُّ نتاجهم في وصفها والتغزّل بها، وسرد معاناتهم منها ومعها، وكذلك سرد مغامراتهم الغزليّة معها. فقد كانت لها الصدارة في قصائد الشعراء، حيث كانوا يفتتحون بها قصائدهم ولا يخفى عنّا طريقة الشعراء.

ولا بدَّ بدءاً من الوقوف على مكانة المرأة في الحياة الجاهلية ثم الحياة الأندلسية وتبيان الفرق بين المجتمعين. وبعدها نقف على ظاهرة السطو أو اقتحام الخدر في البيئتين الشعريتين، واستنباط الفرق بينهما في هذه الرحلة البحثية القصيرة.

أولا : المرأة في المجتمع الجاهلي :

مما لا يخفى على ذي لبٍّ ومما هو معروف ومستقر في ثقافتنا الجمعيّة أنَّ مكانة المرأة في الجاهليّة ليست على شاكلة واحدة بل هي متفاوتة ومختلفة بحسب مكانة وسلطة قبيلتها، فثمة فئة عرفَت بالقوة والنفوذ وتسنم مقاليد الحكم كزنوبيا ملكة تدمر، ومنهن من عملْنَ بالتجارة أسوةً بالرجال وهذا ما وجدناه في سيرة السيدة خديجة بنت خويلد وغيرها، وفي الجانب الآخر تقابلهنَّ المرأة المهمشة المستضعفة الموؤدة المجرّدة من الحقوق المثقل كاهلها بالواجبات وغير دلك.

فهذه الأسماء وغيرها تمثل النخبة القليلة حيثُ كثرَ في المصادر أنَّ المرأة الجاهليّة مهضومة الحقوق من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وإنْ كانت لها مشاركات من المجالات الفكرية والأدبية، إلّا أنَّها مهمشة في العديد من النواحي ينظر:(مرسي، ١٩٩٧،الصفحة٦٨).

ومما تذكره المصادر أنَّ العرب لم يتفقوا على كره بناتهم ونسائهم قاطبة؛ بل إنَّ بعضهم على العكس من هذا حيث يقول الزيات في كتابه (المرأة في الجاهليّة) :"إن بعض العرب كانوا في عكس من سبق، يحبون بناتهم ويبذلون في إكرامهنَّ غاية جهدهم، دون أن يمنعهم ما كانوا يتقونه منهن من الفضيحة وثقل المؤونة عن توفيتهن حقهن من العناية والتربية، بحيث كانوا يجزعون لأقل أذى يحل بهن"(الزيات،٢٠١٤، الصفحة، ١٢)

ويستشهد بأبيات لشاعرٍ جاهلي (التبريزي،٢٠٠٨،الصفحة،١٠٢)

قال فيها:

"أبكـاني الـدَّهْر وَيَا رُبمـا أضحكنـي الـدَّهْر بِمَـا يُـرْضِي

لـولا بنياتٍ كَـزُغْبِ الْقَـطَا رُدِدْنَ مِـنْ بَعـْضٍ إِلَـى بَعْـضِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

لَك، انَ لـي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الأَرْضِ ذاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإنـمـــا أَوْلاَدُنَـا بَيْنَـنـا أَكْبَـادُنَـا تَمْشِـي عَـلـى الأَرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلى بَعْضِهِمْ لاَمْتَنَعَتْ عَـيْنِي مِـنَ الْغَمـضِ"

ولعل مشاعر الأبوة الصادقة تبدو واضحة في الأبيات السابقة إذ مثّلها الشاعر خير تمثيل فلا فرق بين ذكر وأنثى في نفسه. فبإمكاننا أنْ نعدَّ هذه العاطفة ظاهرة ونعممها ليس على كل الجاهلين بل على جزء يسير منهم، لنثبت أن عاطفة حب الإناث موجودة ولكن من دون تعميم.

ومما يجدر الإشارة له أن مكانة المرأة متأتية من مكانة قبيلتها من حيث قوتها وضعفها، فحالها انعكاس لأحوال قبيلتها، إذ تذكر أحد مصادر الأدب الجاهلي أنَّ من الظواهر السائدة هو زواج الخطف، فإذا أُعجب أحدُهم بامرأة خطفها وتزوجها قسرًا ، وهذا لا يحدث مع نساء القبائل ذات المنعة والقوة والسلطان وإنّما يحدثُ مع نساء القبائل الضعيفة، حيث تكون النساء فيها مهمشة ومستضعفة، ينظر:(عباس،٢٠٢٠، الصفحة ١٤٠).

ويذكر أيضا أنَّ نساء الطبقة الغنيّة كنَّ محجوبات عن الرجال، إذ كانت المرأة تتقنع من الرجال الغرباء، وإذا كانت الفتاة شديدة الجمال فكانت تتلثم فور خروجها من دارها، ينظر:(عباس،٢٠٢٠،الصفحة٩).

وكان للمرأة الخيار في اختيار زوجٍ لها، وإنْ لم يعجبها تركته، وكانت تجير من استجارها، ولها دور في الحروب والثأر، حيث كان النساء يحرضنَ على القتال والثأرِ ويرفضنَ الديةَ، حتى إنَّ افتتاح الشعراء قصائدهم بأسماء النساء عائد إلى المكانة التي تتمتع بها المرأة في أنفسهم، ووقفوا كثيرا عند مفاتنها وحليها وملبسها ، وكان لها الدور المهم في التجارة وكسب الأموال. ينظر: (سقال،١٩٩٥،الصفحة،٩٢ وما بعدها).

وكانت المرأة الجاهلية في الأعم الأغلب مشهورة بالعفة والخلق الرفيع، حيث كانت تُربى على العفة والحياء وتُؤدب نفسها بنفسها، فيقول أحد المؤرخين واصفا عفتها "وقد كانت النساء لهذه العفة التي وصفت حريصات على سمعتهن، يغرن عليها غيرتهن على شرف أُسرتهنَّ، فكن يرضين بكل شيء خلا قبح الأحدوثة، ويؤثرن الموت على فعل ما يغضُّ من ذكر قومهنَ أو يلحق بهنَّ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

العار"(الزيات،٢٠١٤،الصفحة ٣٣)، ويعقب أيضًا واصفا عفتها وسمو أخلاقها قائلًا:" لا جرم أنَّ اجتماع مثل هذه الخصال الشريفة في المرأة الجاهلية كان نتيجة حسن تأديب والديها لها، وكانت الوالدة للأدب الذي نشأت عليه تحرص على تهذيب ابنتها بمثل ما هذبت به نفسها، وتُعنى ببث روح العفة وعزة النفس في فؤادها، حتى إذا ترعرعت خرجت نظيرها لا همَّ لها إلا كرم الأخلاق وطيب الخصال، ولا رغبة إلا في نقاء العرض وحسن الذكر"(الزيات،٢٠١٤،الصفحة ٣٣).

فالمرأة الجاهلية كانت عفيفة ممنعة حريصة على حسن سيرتها وعلى قدر عالٍ من الخلق الرفيع، وأيضا لم تكن المرأة الجاهلية مهمشة ونكرة تمامًا بل كان لها دورٌ مهمٌ في الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، وأيضا كانت طبقات النساء مختلفة منهن الحرائر ومنهن الإماء، وكان المجتمع الجاهلي على قدرٍ عالٍ من المحافظة والمنعة من جهة النساء، وكان الاقتراب منهن خطرًا وعسيرًا.

ثانيا: المرأة في المجتمع الأندلسي

مما لا يَخفى على الجميع أنَّ المجتمع الأندلسي مجتمعٌ منفتحٌ نسبيًا فالأندلس هي إسبانيا الآن، فثمة بوْن واسع بينه وبين المجتمعات العربيّة كالمجتمع الأموي والعباسي من حيث الانفتاح والتحرر ونقيضهما. ولا يمكننا الحديث عن وضع المرأة في المجتمع الأندلسي من دون الحديث عن طبيعة المجتمع الأندلسي نفسه، حيث اتّصف المجتمع الأندلسي بتفاوت طبقي رهيب، فقد كان يضمُّ ثلاثَ طبقات: الأولى الطبقة الارستقراطية المترفة، والثانية هي الطبقة الفقيرة البائسة، وثمة طبقة متوسطة بينهما، ينظر: (القرشي٢٠٠٥، الصفحة١٠).

ففي الأوساط العامة كانت المرأة تقوم ببعض الأعمال لكسب الأموال ومساعدة زوجها، وعلى العكس منها المرأة في الوسط الأرستقراطي لا تقوم بأي عمل لا في البيت ولا في خارجه، فقد كانت مَهَمة المرأة المترفة انتظار الزوج لملء حياتها وتغذية عواطفها، إذ كان شغلها الشاغل هو الحب ينظر:(القرشي،٢٠٠٥،الصفحة ١٠-١٤).

أمّا الجواري والإماء فكنَّ يمثلنَ نسبة غير قليلة من المجتمع الأندلسي، وكان أسيادهن يعلمونهنَّ الفنون والأدب بهدف رفع اثمانهنَّ، وفي مرحلة الشباب كانت مَهمتهنَّ الإمتاع، إمّا حين تنتهي مرحلة الشباب فيصبحن من جواري الخدمة ينظر:(القرشي،٢٠٠٥، الصفحة ١٦-١٧).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

واتصف المجتمع الأندلسي بالتحرر وبقدر غير قليل من الحرية على جميع الأصعدة السياسيّة والثقافية والأدبية، وقد نالت المرأة نصيبها من هذا التحرر والانفتاح إذ برزت للعيان، وضعفت شخصية الرجل الأندلسي أمامها في ظل تحرر المرأة ينظر: (الوائلي،٢٠٢١،الصفحة ٢٤٣).

فقد نالت المرأة الأندلسيّة تحررًا وانطلاقًا لم يشهده أيُّ مجتمع آخر على جميع الأصعدة ينظر:(بوفلاقة١٨٩٤،الصفحة٦٤). ومن مظاهر تحرر المرأة إنَّها لم تكن حبيسة البيوت أسوة بالمرأة المشرقية؛ بل كانت تخرج للتنزه في الرياض والأماكن العامة برفقة جواريها، وكانت تشارك في النشاطات الدينية والاجتماعية والمحافل الأدبية، إذ شاطرت الرجلَ نشاطاته، ينظر: (حسين، ٢٠٠٥، الصفحة٣٢). وعلى الرغم من أنَّ المرأة الأندلسية كانت قوية وذات عزمٍ وأسهمت في بناء المجتمع الأندلسي إلّا أنَّ حريتها في الغالب افتقرت للاعتدال وجنحت للابتذال، حتى أنَّ ابتذالها خالف طبيعة المرأة الرقيقة المرهفة، مما أدى إلى ضعف سلطان الرجل أمامها حتى الحكّام منهم، فانساق لها مستسلمًا لعواطفه، ينظر:(الوائلي،٢٠٢١،الصفحة٢٥٠).

ويُذكر أنَّ للمرأة الدور الكبير في إثراء الأدب من نواحٍ عدّة؛ إذ برز منهنَّ أديبات مشهورات، والناحية الثانية تأثيرهن في أنفس الشعراء بما يمتلكنَ من جمال أخّاذ يُلهم الشعراء، فضلا عن هذا أنَّ المرأة العربيّة في الأندلس سبقتْ الغربيات في جعل منازلهنَّ نوادي أدبية، ينظر:(الوائلي،٢٠٢١،الصفحة٢٤٨).

ونبغتْ في الأندلس شواعر عدّة وقفت في مصف الشعراء، لكنّهنَّ في ظل ذلك التحرر وامتلاك الموهبة الشعرية جنحنَ نحو الابتذال حتى أصبح شعرهنَّ لاسيما الغزل منه ضربًا من التطرف وجنسًا من التمحل، وخاصة في عصر ملوك الطوائف حيث انحطتْ ألفاظه ومعانيه ينظر:(الركابي١٩٧٥، الصفحة١٢١).

فكانت المرأة لا تخجل ولا تتوارى من التعبير عن خلجات نفسها اتجاه المحبوب، فنظمت الشواعر قصائدَ يتغزلن بها ويتحببن للرجال مجاهرة وبكل صراحة، ومنهنَّ أمّ الكرام بنت المعتصم بن صمادح (ت٤٨٣هـ) وهي بنتُ مَلِك أديب شاعر ، وهي نفسها أديبةٌ ليست من طبقة العامة ، ولا من سَوادِ الشعب ودهمائه ، ولا من سوقة الناس ، وإنّما هي سيدة من السادة الذين سَمَتْ بهم المنازل ، وارتفع بهم الجاه ، وميزهم عن سواهم السُّلطان، نَشَأَت في بلاط الملك، تحت إشراف أبيها المعتصم بن صمادح .عاشت حياة الأميرات الأديبات المتأدبات ينظر:(جمعة،٢٠٠١،الصفحة ١٢٦) وما

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

بعدها. ويقول عنها المقري في كتابه (نفح الطيب) : "كانت تنظم الشعر، وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار، وعملت فيه الموشحات، ومن شعرها فيه (المقري،١٩٦٨، الصفحة١٧٠):

"يا مَعْشَرَ الناسِ ألا فاعْجَبُوا ممّا جَنَتْهُ لوُعَةُ الحُبِّ

لـوْلَاهُ لمْ ينْزل ببدرِ الدّجى منْ أفْقِهِ العلوي للتُرْبِ

حسْبي بمَنْ أهواهُ، لوْ أنَّهُ فـارَقَني تَابـِعَهُ قَلْبي"

وكما هو شاهد أمامنا في النص أعلاه المجاهرة بالحب الذي اعتادت المرأة العربية كتمانه والتستر عليه، فنجد هنا الشاعرة على العكس من ذلك تتجاوز الحياء، باثة شكواها من الحب، مما أعطى انعطافًا كبيرًا في الشعر العربي على جانبٍ مغايرٍ جديد لا يتناسب وطبيعة المرأة الرقيقة العفيفة، والصفات المثلى التي من المفترض أنْ تتصف بها المرأة عامة والعربية المسلمة على وجه الخصوص.

ثالثا: مشهد السطو بين الشعر الجاهلي والأندلسي

يُعد مشهد اقتحام خدر المرأة وتتبعها ليلًا والولوج لها من المشاهد المائزة والتي تأخذ حيزًا مهمًا وواضحًا في بناء قصيدة الغزل على الرغم من وقوف المجتمع العربي موقفًا صارمًا من اتّخاذ الأخدان مع المرأة في العصر الجاهلي، وفي الأندلس أيضًا فعلى الرغم من انفتاح المجتمع وتنوّع الثقافات وامتزاجها، وارتخاء العادات والتقاليد العربيّة نوعا ما، إلّا أنَّ المجتمع الإسلامي والروح الإسلاميّة حاضرة في أوساطه وفي طيّات القصائد الأندلسيّة كذلك، إلّا أن بعض العادات والسلوكيات الجاهليّة نجدها تتمظهر في طيات القصائد الأندلسيّة.

ولا نجزم أنّها متشابهة إلى حدٍّ بعيد يمنع من دراستها وتبيان أوجهها وخصائصها، بل ثمة اختلافات في الظروف والسمات الشعريّة والدوافع إلى الحد الذي حفّزنا لسبرِ أغوارها والغوص في كنهها لنقف على نقاط التقارب والتباعد والتشابه والاختلاف من خلال رحلتنا البحثيّة القصيرة نوعا ما.

ثالثا/١: مشهد السطو في الشعر الجاهلي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

كثر في الشعر الجاهلي صورة اقتحام خدر المرأة والوصول إليها، ولا يجافينا الصواب لو قلنا أن هذه الصور أغلبها متخيلة ولا تعدو أن تكون مجرد أمنيات وصور مجازيّة وتعويضية لما يعانيه الشاعر من حرمان وابتعاد عن المرأة، حيث يتّجه للخيال والعواطف ويرسم حلمًا على أنَّه اقترب من محبوبته واقتحمَ ذلك الخدر المنيع وتحمّلَ الأهوال والمصاعب في سبيل الوصول إليها.

ومما يعضد كلامنا ويُؤيده هو طبيعة المجتمع الجاهلي وما تحاط به المرأة من المنعة والمحافظة الشديدة عليها من قبل ذويها وحفاظها هي على نفسها، ومما يؤيد كلامنا هذا أنَّ صورة اقتحام الخدر والسطو على الحبيبة هو صورة متخيلّة حال امرئ القيس وهو فارس هذا الميدان، صاحب الغزل الحسي المكشوف ورائد المغامرات النسائية كما يرويها هو لنا في شعره ولا نعلم هل ما يرويه صحيح أم خيالات شاعر عانى من الحرمان والبغض من قبل النساء كما شاع عنه في كتب الأدب وكما استقرَّ في أذهاننا كيف كانت النساء تمقته.

ففي إحدى مغامراته وهي دارة جلجل وحوادث مشابهة لها وسطو على خدر النساء بكل ثقة وتفاخر، حيث قال في جزء من قصيدته:(امرؤ القيس، ٢٠٠٩،الصفحة١٠وما بعدها):

"ألاَ رُبَّ يَـوْمٍ لَكَ مِنْهُـنَّ صَالِـحٍ ... وَلاَ سِيَّـمَا يَـــوْمٌ بِـــدَارَةِ جُـلْجـُلِ

ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِـدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فَقَالَتْ: لَكَ الـوَيْلاَتُ!،إنَّـكَ مُرْجِلِي

تَقُـولُ وقَـدْ مَالَ الغَبِيْطُ بِنَا مَعاً ... عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا امْرأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

فَقُلْتُ لَهَا: سِيْرِي وأَرْخِي زِمَامَه ... ولاَ تُبْعـدِيْنِي مِنْ جَنَـاكِ المُعَلَّـلِ"

فبعد هذا النص الجريء وإخراج المعنى من دائرة التلميح الخجول إلى التصريح الجريء، لنا أن نسأل هل هذه الحوادث حقيقيّة؟ هل عاش امرؤ القيس مغامراته الجريئة فعلًا ؟، فالجواب إنَّ أغلب مغامرات الفحولة التي ذكرها الشعراء لاسيما أمرؤ القيس لا يوجد لها راوٍ غير الشاعر، أما المؤرخون والنقاد على كثرتهم لم يتجاوز عملهم سوى التحليل والتفسير، وامرؤ القيس هو الراوي الأوحد لهذه الحوادث المليئة بالجنبة الإباحية، ينظر:(خلف٢٠٢١،الصفحة٣٠١). ثمَّ أصبحت منوالًا لمن جاء بعده.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

فعلى الرغم من كثرة وقوف النقاد عند حادثة دارة جلجل وغيرها من حوادث السطو لخدر المرأة الممنعة من قبل امرئ القيس إلّا أنَّ جهد النقاد والمؤرخين لا يتجاوز تحليل وتفسير تلك الحوادث التي وردت على لسان امرئ القيس شعرًا، والوقوف على الجوانب الأدبية ووجه الجدة فيها واستحسانها بصفتها نمطًا جديدًا في شعر الغزل من جهة، وسلوكًا مُستهجنًا في مجتمع محافظٍ من جهةٍ أخرى.

وفي ظل المحافظة الشديدة والرقابة والابتعاد النسبي بينه وبين المرأة كان امرؤ القيس توّاقًا لتصوير دقائق اقتحامه خدر الحبيبة فقد جاء على لسانه في إحدى قصائده:(امرؤ القيس،٢٠٠٩، الصفحة ٣١-٣٢)

"سَمَوتُ إِلَيها بَعدَ ما نامَ أَهلُها سُموَّ حبابِ الماءِ حالاً عَلى حالِ
فَقالَت سَباكَ اللَهُ إِنَّكَ فاضِحي أَلَستَ تَرى السُمّارَ وَالناسَ أَحوالي
فَقُلتُ يَمينَ اللَهِ أَبرَحُ قاعِداً وَلَو قُطِّعوا رَأسي لَدَيكِ وَأَوصالي
حَلَفتُ لَها بِاللَهِ حِلفَةَ فاجِرٍ لَناموا فَما إِن مِن حَديثٍ وَلا صالِ
فَلَمّا تَنازَعنا الحَديثَ وَأَسمَحَت هَصَرتُ بِغُصنٍ ذي شَماريخَ مَيّالِ
وَصِرنا إِلى الحُسنى وَرَقَّ كَلامُنا وَرُضتُ فَذَلَّت صَعبَةٌ أَيَّ إِذلالِ
فَأَصبَحتُ مَعشوقاً وَأَصبَحَ بَعلُها عَلَيهِ القَتامُ سَيِّئُ الظَنِّ وَالبالِ"

فلنا أن نلاحظ هنا امتناع المرأة وخوفها وحذرها من الفضيحة والسمار والناس من حولهم تلافيا ما يلحق بها من عارٍ، لكن هذا الامتناع عند الرجل تدلل وافتنان بها، إلّا أنَّ الحقيقة أنَّ هذا الامتناع من المرأة هنا حقيقي لدرء الخطر، لإدراك الطرفين ما في السطو ليلا من خرق للمعايير الاجتماعية والأخلاقيّة، لكن الشاعر عندما يتلذذ بهذا الامتناع يصوره على أنَّه تغنج وتدلل. حيث شكّل هذا الجانب ملمحًا مهمًا في ظاهرة السطو على الحبيبة في الشعر الجاهلي عند امرئ القيس وغيره.

ولعل التحليل النفسي لحالة الشاعر مع المرأة ومدى حرمانه وقربه منها يعضد كلامَنا أعلاه حيث يتّضح لنا من خلاله أنَّ غياب المرأة وصدها للشاعر وحرمانه منها شكّل إلهامًا قويًّا له، والأسماء كثيرة فليلى وعبلة وجوليت وبثينة وعزة وغيرهنَّ لم تذكر المصادر أنَّهن اقتربن أجسادًا من الشعراء، بل كان التقارب معنويًّا روحيًّا، فهنا يكون الحرمان محفزًا أكثر من الارتواء في إثراء الشعر

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

يظر:(إبراهيم،١٩٨٩،الصفحة٧٣). فهذا الخيال من المرأة يصنع العجب العجاب في نفس الشاعر فيكون النتاج شعرًا يعوض حالة الحرمان التي تعاني منه نفسه واقعيًّا.

وما نستشفه ينطبق على حال الشاعر الجاهلي سُحيم عبد بني الحسحاس في أكثر من قصيدة لا سيما قصيدته اليائية.

فسحيم كان عبدًا منبوذًا من القبيلة برمتها رجالًا ونساءً، لكنَّه كان يعوض هذا الرفض بواسطة الشعر ويصوّر نفسه مرغوبًا معشوقًا من قبل النساء، وأنَّهن يتنافسنَ عليه، ولا يتورع عن التشبيب بهنَّ صراحة وجهرًا. ومن الطبيعي إنّنا سنحمل سلوكه هذا على أنّه تعويضٌ بسبب مقت النساء له، فهذا المقت شكل حافزًا مهما أجَّجَ تلك الطاقة الشعرية في نفس سحيم الشاعر لاسيما الشعر المكشوف وتخيّل وصال المرأة وتحببها له، وإنَّها راغبة شغوفة به.

جسّد سحيم في قصيدته اليائية "مشكلة العبودية ومحاولة الفرار من تبعاتها، كما كشفت عن الصراع بين سحيم وقبيلته ومجتمعه، واستطاع سحيم من خلال تلك القصيدة مواجهة هذه المشكلة من خلال تشييد حالة البطولة المزعومة التي تنفى عنه صفات العبيد وتضعه في موضع السادة الأحرار،... واحتلت المرأة بتنوعات مختلفة في الغزل والظعن والاستهانة والتحقير والتقليل من شأنه مركزا رئيسا لتشييد البطولة المزعومة" (قرني،٢٠٢٢،الصفحة ٧٩). ولعل هذا الكلام ينطبق على أغلب شعره فهذه المشاعر كانت ملازمة له، فالتشبب بالنساء وتخيّلهنَّ شكلا علامة فارقة في سيرة حياته.

وقِيل أنّه كان يتعرض لنساء مواليه، ويصدّنَّه فينعطف حينها متشببا بهنَّ ذاكرًا النساء بأسمائهنَّ الصريحة، فما كان من مواليه إلّا أنْ يقتلوه خشيةً عارٍ يلحق بهم، ينظر: (الميمني١٩٥٠،الصفحة ٥).

ومن القصائد التي تمثلُ شاهدًا واضحًا على ما سبق ذكره قصيدته اليائية (سحيم،٥٠ ١٩، الصفحة ١٨)، حيث قال بها:

"بِأَحْسَنَ مِنها يَومَ قَالَت أَراحِلُ	مَعَ الركب أم ثاو لدينا لياليا
فإن تثو لا تملل وإن تضح غادياً	تُزَوَّد وترجع عَن عُمَيرَةَ راضيا
وَمَن يَكُ لا يَبْقَى عَلَى النَّأْيِ وُدُّهُ	فَقَد زَوَّدَت زاداً عُمَيرَةُ باقيا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

وبِتْـنا وسـادانـا إلـى عَلَجَـانَـةٍ ... وحقف تهاداهُ الرِّياحُ تَهـادِيا
تُـوَسِّـدُنِي كَفـاً وتَثْنِي بِمِعْصـمَ ... عَلَيَّ وَتَحـوي رجلها من ورائيا
تَجَمَّـعنَ مِـن شَتَّى ثَـلَاثٍ وأَربَعٍ ... وَوَاحِـدَةٍ حَتـى كَملـنَ ثَمَـانِيـا
سُليمي وسلمى والربابُ وتربها ... وأروى وريّـا والمـنُى وقَطامـيا
وأَقبَلنَ مِن أَقصى الخِيامِ يَعُدنَني ... نَـوَاهِدَ لَـم يَعـرِفنَ خَلقاً سوائيا"

فنص سحيم هنا يمكننا أن نقول عنه تعويضًا ورفضًا للواقع الاجتماعي والطبقي وتشفيًا من الطبقة الأعلى منه الرافضة له بما فيها المرأة، فعلى الرغم من كونه انتقامًا معنويًا شفويًا لا يتجاوز حدود القصيدة، إلّا أنَّه في غاية الأهمية لما للشعر من سلطان وقوة وتأثير في الأوساط المجتمعية وما يشكله الشاعر من لسانٍ إعلاميٍّ مهم.

فبعد هذا التقديم لظاهرة السطو في الشعر الجاهلي أثبتتْ مراجعة وقراءة النصوص أن ظاهرة السطو في أغلبها ظاهرة تكاد تكون خيالية وهي تمثل رغبة الرجل والشاعر الجاهلي في إثبات فحولته ورجولته من جهة، وتعويضًا عما يعانيه من جفاف عاطفي وابتعادٍ عن المرأة من جهة أخرى، فالشاعر في كنف مجتمعٍ عفيفٍ محافظٍ يستهجن اقتحام الخدر، ويحيطه بهالة من العفة والمنعة والصون، وإنْ حدثتْ حالات لاقتحام خدر المرأة فهي محفوفة بالخطر الكبير وهو عار كبير يلحق الرجل والمرأة معًا.

ثالثا/٢: مشهد السطو في الشعر الأندلسي

تتمثل صورة السطو على خدر المرأة في الشعر الأندلسي بصورتين أو أسلوبين أولهما: مختلف عن أساليب الجاهلية يتَّسم بصراحة المرأة وجرأتها في وصل الحبيب، ويكون فيه السطو واقتحام الخدر حقيقيًا، أمّا الثاني: فمتخيل، والشاعر فيه يضارع الجاهليين في كون مشهد اقتحام الخدر لا يعدو أن يكون مقدمة غزليّة متخيّلة وتقليدًا مُتّبعًا من تقاليد القصيدة التقليدية. وسنبين ما استنتجناه في الصفحات الآتية.

أ: الجدة في مشهد السطو:

أمّا عن مشهد السطو على الحبيبة واقتحام خدرها في الشعر الأندلسي فقد وجدنا فيه انقلابًا للصورة النمطية التي رسمها الشعراء الجاهليّون، إذ تتجلى الحبيبة بصورة جريئة ومبادرة متخليّةً عن

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

الحياء والعفة المفروضتين عليها، ولا نجد امتناعًا عند الأندلسية بل نجدها مرحبةً مشجعةً راضيةً باللقاء لوصل الحبيب، بل أحيانًا تقوم هي بزيارته إذا امتنع، ولقبولها وترحيبها أثر واضح لدى الرجل حيث نلتمس عنده نرجسية واضحة لأنَّها طالبةً مبادرة .

وهذا هو حال أبي بكر بن مُجبر الأندلسي (ت٥٨٨هـ)، حيث قال في إحدى قصائده (ابن مجبر، ٢٠٠٠،الصفحة٩٧):

"دع العينَ تَجْنِي الحُبَّ من موقع النَّظَرْ ... وتَغْرِسُ وَرَدَ الْحُسنِ فِي رَوضَةِ الْخَفَرْ
أُمَتِّعُهـا فيه فإنْ تكُ لوعةً ... صَبرتُ وما ذم العواقب مَن صَبَرْ
فثُورُ العيون النُّجْلِ يُطلَبُ بالهَوَى ... وإن غَفَلَ التَّفتيرُ لم يغفل الحَوَرْ
وزائرة والليلُ مُلقٍ رَوَاقَهُ ... ومِنْ أَينَ للظلماءِ أَنْ تَكتُمَ القَمَرُ؟
حَدَرتْ نِقَابَ الصَّونِ عن صفحِ خَدِّهَا ... فيا حُسنَ ما انشقَّ الكمامُ عن الزَّهَرْ
وراودتُها عن ثمرِهِ فَتَمَنَّعَتْ ... وما عادةُ الأغصان أن تَمنَعَ الثَّمَرْ
رشأً كُلَّما أَدمَتْ جُفُونِيَ خَدَّهُ ... أَشَارَ إلى قلبي بِعيْنيهِ فانتَصرْ
يطالبُني قَلْبي بتقبيلِ ثَغرِهِ ... لَقَدْ غاصَ في بَحرِ الجَمالِ على الدُّرَرْ"

فالشاعر هنا مطلوبٌ لا طالب ومرغوبٌ به قبل أنْ يكون راغبًا وهذه سمة تميز السطو في الشعر الأندلسي، حيث أصبح الرجل يتّصف بالنرجسية التي وسمته بها المرأة وظروف المجتمع وعاداته وطبيعته، على الرغم من كون سلوك المرأة هنا شكّل خرقا للمعتاد وكسرًا للنسق إلّا أنَّه أصبح سلوكًا معتادً من قبل النساء، ويُجاهر به من قبل الرجل الشاعر من باب التفاخر وتعظيم الذات، وكذلك سلك أبو بكر بن مجبر في نصِّه أعلاه.

لعل طبيعة المجتمع المتحرر أعطى للسطو انطباعًا مغايرًا عنه في الشعر الجاهلي، حيث أصبحت المرأة هنا هي من تقتحم خلوة الرجل وتصل الحبيب وتختلي به، حيث نرى المرأة الأندلسيّة الشاعرة لا تتحرج، بل تجاهر برغبتها في عيش هذه الأوقات الحميمية، فأصبحت تجاهر في الإختلاء بالرجل . ومن ذلك ما قالته أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح (ت٤٨٣هـ) في إحدى قصائدها (الأندلسي، ١٩٥٥، الصفحة ٢٠٣):

"ألا ليْتَ شِعْري هَلْ سبيلٌ لخلوةَ ... يُنزهُ عْنها سَمْعُ كـلِّ مُراقِبِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

ويَا عَجباً أشْتَاقُ خلوةَ مَنْ غدَا ومَثْواهُ مَا بيْنَ الحَشَا والتَرائبِ"

وأكثر من أمِّ الكرام جرأةً ومجاهرةً حفصة الركونية (ت٥٨٠هـ) ( )عرفت بحبها للشاعر أبي جعفر بن سعيد(ت٥٥٩هـ) ( )

ويرُوى عنها أنّها ذهبت بنفسها للحبيب لتختلي به بعد إنْ فاض بها الحنين إليه، حيث تذكر مصادر الأدب والتاريخ حادثةً تمثل شاهدًا مهما لجرأة ومجاهرة المرأة في الأندلس ووصلها للحبيب لا سيما المرأةُ الشاعرة مدار حديثنا، فقد ذُكرت حادثة عن الشاعر أبي جعفر بن سعيد في كتاب نفح الطيب أنّه قال :"أقسم ما رأيت ولا سمعت بمثل حفصة ، ومن بعض ما أجعله دليلا على تصديق عزمي ، وبرّ قسمي ، أني كنت يوما في منزلي مع من يحبّ أن يخلى معه من الأجواد الكرام على راحة سمحت بها غفلات الأيام ، فلم نشعر إلّا بالباب يضرب ، فخرجت جارية تنظر من الضارب ، فوجدت امرأة ، فقالت لها : ما تريدين؟ ادفعي لسيدك هذه الرقعة ، فجاءت برقعة فيها :

"زائــرٌ قَــدْ أتىَ بِجيدِ الغـزَالِ مَطـلـع تَحْتَ جِنْحهِ للهِلالِ
بِلِحَاظٍ منْ سحرِ بابلِ صِيغت ورضابٍ يفوقُ بنتَ الدَوالي
يفضحُ الوَردُ مَا حَوَى منهُ خدٌ وكـذَا الثغـرُ فـاضحٌ للالي
مَـا تـرَى فـي دخولهِ بعد إذنٍ أو تَرَاهُ لعارضٍ في انفِصَالِ؟"

قال: فعلمت أنها حفصة،، وقمت مبادرا للباب، وقابلتها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به وتفضّله بالزيارة دون طلب في وقت الرغبة في الأنس به، (المقري،١٩٦٨، الصفحة١٧١ومابعدها) وينظر:(الأندلسي،١٩٥٥،الصفحة١٣٨) وينظر:(ابن دحية،١٩٥٥،الصفحة٢١٠).

وكانت حفصة تغريه لتستعجله باللقاء بصراحة مبالغ بها، حيث تقول في نصٍّ كتبته للوزير أبي جعفر (المقري،١٩٦٨، الصفحة٣١٠) :

أزورُكَ أمْ تزورُ؟ فإنّ قلبي إلى ما تشتهي أبداً يميلُ
فثغري مـوردٌ عــذبٌ زُلال وفـرعُ ذؤابتي ظِل ظلــيلُ
وقد أملتُ أن تظما وتُضحي إذا وافى إليك بي المقيلُ
فعجلْ بالجوابِ فما جمـيلٌ إباؤُك عن بثينةَ يا جميلُ"

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

فكانت علاقة أبي جعفر بحفصة سببًا في نشوب عداوة بينه وبين أحد أمراء الموحدين، فنال منه، مستغلًا أسبابًا سياسيةً، لكنَّ الحقيقة هي أنّ أبا جعفر كان منافسًا له في كسب ودِّ حفصة، حتى راح يضيّق عليه أسباب الحياة، وأقاله من منصبه، فسعى إليها الأمير الموحدي وأصرّ على التقرب منها, ولعلّ هذا الإصرار جاء بغضًا بأبي جعفر الذي كان الأوفر حظًا بقلبها(ابن الخطيب، ٢٠٠٣، الصفحة ٢٢٠)، فعندها أنشد أبو جعفر قائلًا(أبو جعفر،١٩٩٣، الصفحة ١٣٥):

"مَنْ يَشْتَري مني الحياةَ وطيبَها ووَزارتِي وتأدُّبي وتهذُّبي
بمَحلِّ راعٍ في ذُرى مَلْمُومةٍ زُويت عن الدنيا بأقصى مَرْتَبِ
لا حُكْمَ يأخذُه بها إلاّ لِمَنْ يَعْفُو ويرؤُف دائمًا بالمُذْنبِ
فَلَقَدْ سَئِمْتُ من الحياةِ مع آمرىءٍ مُتغضِّبٍ متغلِّبٍ متربّبِ
الموت يلحظُني إذا لاحظتُهُ ويقومُ في فكري أوانَ تجنّبي"

يمهد الشاعر بمقدمة يائسة يرثي فيها نفسهُ بعد أن أيقن أنْ لا مفرّ من الموت على يد أبي سعيد، وقد غلبت نغمة الانكسار على أبياته، فجلّ أمنياته أنْ يعيشَ حياته بعيدًا عن ظلم أبي سعيد وتجبّره. ومبتغاه من هذا الطرح تعاطف المتلقي، ثم يحمل على مهجوّه واصفًا إيّاه بالغاضب والمتسلط، أو المتربص له بالسوء.

ونجح الشاعر في تطويع الصورة لخدمة المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي. وكانت النتيجة لكل هذه القصة حياة الشاعر، فقد قتله الأمير سنة(٥٥٩هـ)، وقد شكّلت حادثة قتله أثرًا كبيرًا لدى حفصة الركونيّة واتّخذت موقفًا مناهضًا للسلطة. ومما يدلُّ على جدّية موقفها المعارض وخطورته توعُّد السلطة بقتلها، حينما أصرّت على موقفها من إعلان الحداد والجهر بالحزن على حبيبها ورثته تحدّيًا للسلطة، قائلةً (ابن الخطيب ٢٠٠٣، الصفحة٢٢٠) :

"هدّدوني من أجلِ لبسِ الحِدادِ لحبيبٍ أردَوهُ لي بالحدادِ
رحمَ اللهُ مَنْ يجودُ بدمعٍ أَو يَنوحُ على قتيلِ الأعادي
وَسقتْهُ بمثلِ جودِ يديهِ حيثُ أضحى من البلادِ, الغوادي"

فخطاب الشاعرة هذا يُنظر له من جانبين: أولهما تمردها على القيود وعدم مبالاتها ومكاشفتها الواضحة للناس والسلطة، وكذلك يتجلى لنا بأنَّه خطاب متحدٍّ للسلطة بالقول والفعل، حيث جمعت

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

بين لبس الحداد وإظهار الحزن، وهو مظهرٌ أعلنت عبره عن مظلوميتها، فضلًا عن تصريحها بتعسف السلطة وتوعدّها بالقتل كحال حبيبها الّذي قُتلَ على يد الأعادي كما وصفتهم, والحقيقة أن ما ينطوي من رفض مكتوب إنّما يشكل صورة من صور الرفض السياسي وإن بدا شخصيًا. لا شك أنَّنا نلمح القوة والمجاهرة التي تتمتع بها المرأة الأندلسية وكيف تتجاوز الحد المسموح به من الحرية من قبل المجتمع ولا تتوانى في إظهار مشاعر الحزن والفقد على حبيبها، مع أنَّ المجتمع يستهجن هذه السلوك وإنْ شاع به.

ففي ظل الحرية وتحضّر المجتمع جنحت المرأة الأندلسية لصراحة التعبير وإطلاق العنان لرغباتها والتوسل بالرجل إلى درجة إذلال النفس، فالصراحة تبدو واضحة في النص أعلاه حتى لو كانتْ هذه الخلوة متخيلّة ولم تحدث على أرض الواقع، فهي مع ذلك تعبر عن جرأة القائلة من جهة، وعن طبيعة انحراف نمط اقتحام الخدر أو السطو كما يسميه النقاد من جهة أخرى، وكيف أصبحت المرأة طالبة لا مطلوبة، ساعية لا يُسعى لها، جريئة لا تبالي بقيم وعادات وتقاليد المجتمع، ناقضة رداء العفة الذي اعتادت المرأة العربية على التستر به.

ب: التقليد والمحاكاة في مشهد السطو

وثمّة جانب آخر من تصوير مشهد السطو للمحبوبة في الشعر الأندلسي جاء كثير منه تقليدًا ومحاكاة للشعراء المشرقيين، فنحن نعلم أنَّ الأندلسيين قلدوا المشارقة وساروا على خطاهم في الفنون الشعرية من حيث الأغراض والألفاظ والمعاني، لأنّهم يرون المشرق مركز الإشعاع الثقافي وما إلى ذلك، فالكثير من مشاهد اقتحام خدر المرأة لم يكن سوى تقليد للشعراء الجاهليين لإثبات التفوق والقدرة الشعرية بأن شعرهم أقرب ما يكون للشعر الجاهلي بصفته خير مثالٍ يُحتذى به. فالكثير من المشاهد كانت متخيلّة تدخل ضمن التقليد والمحاكاة.

ومن النزعات الغرامية المصحوبة بمشهد السطو على دار الحبيبة ما صوره ابن زيدون (ت٤٦٣هـ) ضمن مقدمة غزلية يفتتح بها قصيدته في مدح المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية ينظر:(ابن زيدون،١٩٩٤، الصفحة ١٨٤)، إذ تندرج ضمن التقليد والمحاكاة للأساليب القديمة وضرورة ابتداء القصيدة بمقدمة غزلية، حيث قال بها ابن زيدون:(ابن زيدون،١٩٩٤، الصفحة ١٨٤):

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

"ضَمَـانٌ عَلَيْنَا أَنْ تَـــزُارَ، وَدُونَـها رِقَـاقُ الـظُّبَـى وَالسَّمْهَـرِيُّ المُثَـقَّـفُ
وَقَـــوْمٌ عِدَى يُبْدُونَ عَنْ صَفَحاتهم وَأَزْهَـرُهَا مِـنْ ظُـلْمَـةِ الحقد أكـلـفُ
غَيـــارَى يَعُـدُّونَ الـغَـــرَامَ جَـرِيرَةً بهـا، وَالهَـوَى ظُـلْماً يَغِيظُ وَيـؤْسِفُ
يَـوَدُّونَ لَـوْ يَثْنِي الوَعِـيدُ زَمَاعَنَـا وَهيهات رِيحُ الشَّوْقِ من ذاك أعصَفُ
فَنَقْضِـي أَوْطَـارَ المُنَى مِـنْ زِيَارَةٍ لَنَـا كَـلَـفٌ مِنْـــهَا بِـمَـا نَتَـكَلَّـفُ"
حَبِـيـبٌ إِلَيْـهِ أَنْ نُسـرَ بِوَصْلِهِ، إذا نَحْـنُ زُرْنَـاهُ، وَنَهْـنَا وَنُسْـعَفُ
وَلَيـــلَـةَ وَافَيْنَـــا الكَثِيبَ لِمَوْعِدٍ، سُرَى الأيم لمْ يُعلَم لَمَسرَاهُ مَزْحَفُ"

ونجد الأسلوب نفسه عند يوسف الثالث (ت٨٢٠هـ) ( ) فثمة نص له نلتمس به مجاراةً وتقليدًا لأساليب الجاهليين في اقتحامهم الخدر وما يجنحون إليه من تصوير المنعة والحذر الشديد من الرقيب، فعمد يوسف الثالث على مضارعة الأسلوب ذاته ليعطي نصَّه انطباعَ البداوة والمنحى الجاهلي، حيث قال (يوسف الثالث،١٩٦٥، الصفحة ٥٧):

"وقدْ هجرت نفسي الهجودَ لأجلها وعِيسى أَنَضَاها السّرى والتهجُّرُ
إلى أن تَـرَامتْ بي إلى ضَـوءِ حلَّة لدْيها الكِبَا الهنديُّ ما زالَ يسجُرُ
فأخْفيتُ وْطـئ كـي أناهـزَ فرصـةً وبَـحرُ المنايا طافحُ الموجِ يزخَرُ
وخـاطرتُ بالنفسِ الشَّعـاعِ بمأزق يـرُى لوشيجِ الخـطّ فيه تخطـرّ
إلى أن ولجتُ الخدْرَ والشوقُ غالبٌ وكلّ عُسيرٍ في الهوى متيسّرُ"( )

فالاحتذاء بالأسلوب الجاهلي واضح في النص أعلاه من جانبين: أولهما استعمال الكلمات الغريبة على غير عادة الشعراء الأندلسيين حيث اتّصف أسلوبهم بالسلاسة والوضوح ، والجانب الثاني تصوير المنعة والحذر الشديد الخوف من الرقيب، في حين أن المجتمع الأندلسي كان على قدر ليس بقليل من الحرية والانفتاح، والوصول للمرأة ليس بالشيء العسير كما وصفه الشاعر في نصِّه، فهنا تبرز لنا المحاكاة للأساليب الجاهليّة ومطابقتها بصفتها النموذج الأعلى لإثبات الشاعر مهارته وقدرته الشعرية. ويجاريه أيضًا ابن يهوذا الحريزي

( ) ، حيث قال متغزلا:(الموصلي، ٢٠٠٥،الصفحة٢٥٨):

أمـا إنَّهُ لـوْلا مُحَجّـبَةُ الخِـــــدْرِ لَما فَضَحَتْ أَيْدِي المَدَامِعِ مِنْ سَرِّي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

وَلَيْلٍ طَرَقْتُ الحَيَّ فِي بُرْدَةِ الدُّجَى ... مُنَـمْنَم بـرُّد الأفـق بالأنجم الـزهر
سريتُ إليهـا حيـنَ هَوَّمَ قَوْمُـها ... كَـمِثْـلِ حُبَـابَ استـدار على خمـرِ
تحيطـ بها بِيضُ الصَّوارِمَ وَالقَـنَا ... وأسدٌ مِنَ الْأَبْطـَالِ دَامِـيةُ الظـفر
وَثَـغْرُ المَنـــايـا باسم عن أسنَّة ... وَيُسْفِرُ عَنْ خَدٌ مِنَ الســيفِ مُحْمَرِ
وَقَـدْ بـرَزَتْ فـي حـلة ذهبيـة ... كما اشْتَبَكَتْ زُهْرُ النجوم على البدرِ
جَنَيْتُ بها من جنَّةِ الحُسنَ زَهْرِهَا ... بمخَصَبةِ الأردافِ مجـدبـة الخصرِ
لثمْتُ بها هيفـاءَ رِيمِيَةَ الطَـلي ... مَـدَامِـيةَ الألـمَى حـبابيةَ الثـــغرِ"

فالشاعر يصف (ليلة أنس) قضاها مع محبوبته التي سرى إليها مجازفاً بدافع البحث عن اللذة والمتعة الجسدية والانغماس في اللهو بأسلوب سردي قصصي، والشاعر كان بطل هذا المشهد الدرامي، وقد استمده التراث الثقافي العربي الذي يضم كثيراً من هذه المغامرات الغزلية التي تحدث سرًا تحت جنح الظلام. فنجد المحاكاة واضحة ولا تقتصر على تقليد الظاهرة الشعرية المُتبعة من قبل الشعراء الجاهلين، بل تتجاوزه إلى اقتباس بعض مفردات امرئ القيس وتقليده تقليدًا كاملًا، كقوله: (سريتُ، كمثل حُباب) وغيرها، ولعل هذه المجاراة خير دليل على أنَّ تصوير ظاهرة السطو على خدر المرأة في الشعر الأندلسي كثير منها كان تقليدًا للشعراء الجاهليين.

الخاتمة والنتائج

كانت حصيلة هذه الرحلة البحثية مجموعة من النتائج :

١- إنَّ ظاهرة السطو على خدر المرأة ظاهرة قديمة بدأت في الشعر الجاهلي وشكّلت ملمحًا مهمًا به، فقد عمد الشعراء على وصف المغامرات النسائية، والشاعر بها طالب والمرأة مطلوبة، وكان الشاعر يصفُها كما حدثت وصفًا صريحًا مفصلًا، لكنّ هذا السلوك يبدو سلوكًا شعريًّا مفتعلا وليس حقيقيًّا عاشه الشاعر فعلًا، فالأعم الأغلب منه كان سلوكًا فنيًّا يلجأ إليه الشعراء لإثبات الفحولة وتعظيم الذات والتفاخر بالمغامرات النسائية.

٢- اتّصف المجتمع الجاهلي بالتحفظ والانغلاق، وكانت النساء تتسمُ بالعفة والحرص الشديد على نفسها، وكانت على قدر عالٍ من الخلق الرفيع، ولم تكن المرأة الجاهلية دائما مهمشة، بل كان لها دور مهم في الحياة الفكرية والمادية والاجتماعية، وأيضا كانت النساء على طبقات مختلفة، منهن

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

الحرائر ومنهن الإماء، وكان المجتمع الجاهلي على قدرٍ عالٍ من المحافظة والمنعة من جهة النساء، وكان الاقتراب منهن خطرًا وعسيرًا.

٣- اتّصف المجتمع الأندلسي بالحرية والانفتاح والتّحضر، ونالت المرأة الأندلسيّة متسعًا من الحرية، وفي ظل هذه الحرية والتحضّر جنحت المرأة الأندلسية لصراحة التعبير وإطلاق العنان لرغباتها والتوسل بالرجل إلى درجة إذلال النفس، حيث أصبحت المرأة طالبة لا مطلوبة، ساعية لا يُسعى لها، جريئة غير مبالية بقيم وعادات وتقاليد المجتمع، متخلية عن رداء العفة الذي اعتادت المرأة العربية على التستر به، وأصبح الرجل لا يبالي في وصف نرجسيته وتعظيم ذاته ووصف مغامراته الحقيقية وصفًا صريحًا.

٤- أما الملمح الآخر فهو الاحتذاء بالأسلوب الجاهلي من حيث استعمال الكلمات الغريبة، وهذا يخالف النمط المعتاد في الشعر الأندلسي، ويجيئ على غير عادته، فقد اتّصف أسلوب الأندلسيين عادة بالسلاسة والوضوح والذهاب للمعنى مباشرة.

٥- وملمح آخر هو تصوير المنعة والحذر الشديد والخوف من الرقيب، في حين أن المجتمع الأندلسي كان على قدر ليس بقليل من الحرية والانفتاح والوصول للمرأة ليس بالشيء العظيم، كما صوره الشعراء الأندلسيون، فهنا تبرز لنا المحاكاة للأساليب الجاهليّة ومطابقتها بصفتها النموذج الأعلى لإثبات الشاعر مهارته وقدرته الشعرية.

(١) شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. ويشير "البغدادي إلى أن سحيما لا يعرف له صحبة. وكان أسود شديد السواد. وبنو الحسحاس هم في الأصل من بني أسد بن خزيمة): ينظر: (البغدادي،١٩٩٧،الصفحة ١٠٢)،

(١)(احدى الشواعر الاندلسيات, فريدة زمانها في الملاحظة والظرف والأدب وحضور البديهة, رخيمة الشعر, رقيقة النظم والنثر, وتعدّ أستاذة الشواعر في عصرها بما تمتلك من قوة شعرية هائلة, توفيت (٥٨٠هـ) أو (٥٨١ هـ), ينظر: (المقري، ١٩٦٨،الصفحة ٣١٠).

(١) أحمد بن عبد الملك بن سعيد, من أهل السياسة والإدارة, أديب وكاتب, وشاعر بارع, ممن تابعوا في الأندلس خط النزعة الخفاجية, وفي جانب من شعره منزع ابن زيدون, قتل سنة (٥٥٩ هـ), ينظر: (الأندلسي،١٩٥٥،الصفحة١٦٤) و (الأندلسي،١٩٨٧، الصفحة ١٧٠).

(١) الظبة : حد السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك **(لسان العرب مادة (ظبا)**.

(١)(هو أبو الحجاج يوسف بن يوسف بن محمد الغني بالله بن يوسف النصري الملقب بالناصر من ملوك الأندلس بني نصر في غرناطة. كان ولي عهد أبيه، فلما توفي أبوه شاء القدر أن يستولي على السلطة أخ له أصغر منه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

اسمه محمد بدلاً منه، إذ أبعده عنها وحبسه في قلعة شلبونية من أعمال غرناطة مدة تقرب من أربعة عشر عاماً، بعدها توفي أخوه في العام(٨١٠ هـ)، فتولى الملك بعده حتى توفي هو في العام (٨٢٠هـ) ينظر: (ابن الخطيب،٢٠٠٩، الصفحة ٨٨) وما بعدها، وينظر:(ابن الخطيب، ٢٠٠٣، الصفحة٩٧) وما بعدها.

(١) السرى: سير الليل كله، لسان العرب: مادة (سرا). التهجر: السير في الهاجرة، وهو نصف النهار، لسان العرب: مادة (هجر). الحلة: القوم النزول، وفيهم كثرة، وهم جماعة بيوت الناس، سميت بذلك لأنها تحل، اللسان: مادة (حلل). الكبا: البخور، لسان العرب : مادة (كبا). يسجر: يوقد لسان العرب: مادة (سجر). يزخر يمتد ويرتفع، لسان العرب : مادة (زخر). النفس الشعاع التي انتشر رأيها فلم تتجه لأمر حزم، اللسان: مادة (شعع). الوشيج شجر الرماح، لسان العرب: مادة (وشج).

(١) وهو يحيى بن سلمان بن شاؤول أبو زكريا الحريزي اليهودي ولد في الأندلس عام (١١٥٦م) ما يقارب (٥٥١هـ) وعاش في طليطلة، كان شاعراً وناقداً قوي القريحة، غزير المادة، (١١٥٦م) متمكناً من العربية والعبرية، وكان ينقل كل ما يكتبه العرب إلى اللغة العبرية وتوفى سنة ٦٢٢(هـ)، ينظر:(الموصلي، ٢٠٠٥،الصفحة٢٥٧).

مصادر البحث ومراجعه

١. إبراهيم، ريكان،١٩٨٩، نقد الشعر في المنظور النفسي، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، العراق، بغداد، الأعظمية،ط١.

٢. إبراهيم، محمد أبو الفضل ديوان امرئ القيس ؛ دار المعارف، ط٥.

٣. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، ٢٠٠٣، الاحاطة في اخبار غرناطة؛ ج٢، دار الكتب العامية بيروت، لبنان، ط١.

٤. ابن الخطيب،٢٠٠٩، محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني ، الغرناطي الأندلسي، (ت ٧٧٦هـ)، اللمحة الدرية في الدولة النصرانية، تحقيق: محمد مسعود جبران دار المدارس الإسلامي ليبيا ط ٢.

٥. ابن دحية الكلبي ،١٩٥٥ ، أبو الخطاب عمر بن حسن الاندلسي(ت٦٣٣)،١٩٥٥،المطرب من أشعار أهل المغرب،تحقيق: إبراهيم الأبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، مراجعة :الدكتور طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٦. أبو حسين محمد صبحي، ٢٠٠٥، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، د،ط.

٧. الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، ١٩٥٥، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

٨. الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد، ١٩٨٧، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق: محمد رضوان الداية، طلاسدار للدراسات رالترجمة والنشر، سوريا، دمشق، ط١.

٩. البغدادي، عبد القادر بن عمر١٩٩٧، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٤.

١٠. جمعة، أحمد خليل، ٢٠٠١،نساء من الأندلس، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت،ط١.

١١. الربيعي، ١٩٩٣، أحمد حاجم الربيعي، شعر أبي جعفر بن سعيد الأندلسي(ت ٥٥٩ هـ)، مجلة المورد، العراق، مج٢١, العدد ١ .

١٢. الركابي ، جودت ١٩٧٥، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط١.

١٣. الزيات، حبيب، ٢٠١٤، المرأة في الجاهليّة، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، جدة، ط١.

١٤. سقال، ديزيره،١٩٩٥، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، لبنان، د، ط.

١٥. سندة، عبدالله،٢٠٠٥، ديوان ابن زيدون، دار المعرفة للطبع والنشر،بيروت، لبنان، ط١.

١٦. عناني،محمد زكريا،٢٠٠٠، ديوان ابن مجبر الأندلسي ابن مجبر الأندلسي ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط١.

١٧. القرشي، سليمان ٢٠٠٥، د.، صورة المرأة في المجتمع الأندلسي، دار التوحيدي، الرباط، المغرب، ط١.

١٨. القضاعي، محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الابّار (ت ٦٥٨هـ) ،١٩٩٥، التكملة لكتاب الصلة, تحقيق عبد السلام الهّراس, دار الفكر, بيروت، د.ط.

١٩. كنون،عبدالله،١٩٦٥،ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ،مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط٢.

٢٠. المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد (ت١٠٤١هـ)، ١٩٦٨،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق:إحسان عباس, دار صادر , بيروت, ج٥،(د_ط).

٢١. الموصلي ، كمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤هـ)،٢٠٠٥، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان،تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان،ط١.

٢٢. الميمني، عبد العزيز،١٩٥٠، ديوان سحيم بن الحسحاس،مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر،د،ط.

٢٣. قرني، غادة جميل،٢٠٢٢، البطولة المزعومة في يائية سحيم عبد بني الحسحاس، مجلة الدراسات العربية، كلية العلوم، جامعة المنيا.

٢٤. الوائلي، رعد ناصر مايود، ٢٠٢٠ ،مظاهر التحرر النسوي في الأندلس اجتماعيا ، ثقافيا ، سياسيا، مجلة قراءات، الجزائر، جامعة بسكرة، كلية الآداب، المجلد١٣/العدد ١.

Research Sources and References

25. Ibrahim, Rikan, 1989, Critique of Poetry from a Psychological Perspective, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiya Al-'Amma "Afaaq Arabiyya", Baghdad, Iraq, Al-A'zamiya, 1st ed.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

26. Ibrahim, Muhammad Abu Al-Fadl, Diwan Imru' Al-Qais, Dar Al-Ma'arif, 5th ed.
27. Ibn Al-Khatib, Muhammad ibn Abdullah ibn Said Al-Salmani Al-Lawshi Al-Asl, Al-Gharnati Al-Andalusi, Abu Abdullah, known as Lisan Al-Din Ibn Al-Khatib (d. 776 AH), 2003, Al-Ihatah fi Akhbar Gharnatah, Vol.2, Dar Al-Kutub Al-'Amiyah, Beirut, Lebanon, 1st ed.
28. Ibn Al-Khatib, Muhammad ibn Abdullah ibn Said Al-Tlemsani, Al-Gharnati Al-Andalusi (d. 776 AH), 2009, Al-Lamhah Al-Durriyah fi Al-Dawlah Al-Nasraniyah, edited by Muhammad Mas'ud Jubran, Dar Al-Madaris Al-Islamiyah, Libya, 2nd ed.
29. Ibn Dahya Al-Kalbi, Abu Al-Khitab 'Ummar ibn Hasan Al-Andalusi (d. 633 AH), 1955, Al-Mutrib min Ash'ar Ahl Al-Maghrib, edited by Ibrahim Al-Abyari, Hamid Abdul Majid, Ahmad Ahmad Badawi, reviewed by Dr. Taha Hussein.
30. Abu Husain, Muhammad Subhi, 2005, The Image of Women in Andalusian Literature during the Taifa and Almoravid Periods, Alam Uktub Al-Hadith, Amman, Jordan, reprint ed.
31. Al-Andalusi, Abu Al-Hasan Ali ibn Musa ibn Said Al-Maghribi, 1955, Al-Maghrib fi Hala Al-Maghrib, edited by Shawqi Duf, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 3rd ed.
32. Al-Andalusi, Abu Al-Hasan Ali ibn Musa ibn Said, 1987, Rayat Al-Mubarrizin wa Ghayat Al-Mumayazin, edited by Muhammad Rizwan Al-Dayyah, Talasdar for Studies, Translation, and Publishing, Damascus, Syria, 1st ed.
33. Al-Baghdadi, Abdul Qadir ibn Omar, 1997, Khizanat Al-Adab wa Lubb Lubab Lisan Al-Arab, edited and explained by Abdul Salam Haroun, Maktabat Al-Khanji, Cairo, Egypt, 4th ed.
34. Jum'ah, Ahmad Khalil, 2001, Women of Andalusia, Al-Yamamah for Printing, Publishing, and Distribution, Damascus & Beirut, 1st ed., Dar Al-'Ilm lil-Jami' for Printing, Publishing, and Distribution, Beirut, Lebanon.
35. Al-Ruba'i, Ahmad Hajim Al-Ruba'i, 1993, Poetry of Abu Ja'far ibn Said Al-Andalusi (d. 559 AH), Al-Mawrid Journal, Iraq, Vol.21, No.1.
36. Al-Rukabi, Juddah, 1975, On Andalusian Literature, Dar Al-Ma'arif, Egypt, 1st ed.
37. Al-Zayyat, Habib, 2014, Women in the Jahiliyyah, Hindawi Foundation, Jeddah, United Kingdom, 1st ed.
38. ·Saqal, Desiree, 1995, Arabs in the Jahiliyyah Era, Dar Al-Sadaqa Al-Arabiya, Beirut, Lebanon, reprint ed.
39. ·Sanda, Abdullah, 2005, Diwan of Ibn Zaydun, Dar Al-Ma'rifah for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st ed.
40. Anani, Muhammad Zakariya, 2000, Diwan of Ibn Majbar Al-Andalusi, Dar Al-Thaqafa, Beirut, Lebanon, 1st ed.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

41. Al-Qurashi, Sulayman, 2005, The Image of Women in Andalusian Society, Dar Al-Tuhidi, Rabat, Morocco, 1st ed.
42. Qarni, Ghada Jamil, 2022, The Alleged Heroism in the Poem of Suhaym ibn Al-Hasshas, Journal of Arab Studies, Faculty of Science, Minya University.
43. Al-Quda‘i, Muhammad ibn Abdullah ibn Abi Bakr ibn Al-Abbar (d. 658 AH), 1995, Al-Takmila li Kitab Al-Sila, edited by Abdul Salam Al-Harras, Dar Al-Fikr, Beirut, reprint ed.
44. Kanun, Abdullah, 1965, Diwan of King of Granada Yusuf III, Anglo-Egyptian Library, Egypt, 2nd ed.
45. Al-Maqrizi Al-Tlemsani, Shihab Al-Din Ahmad (d.1041 AH), 1968, Nafh Al-Tayb min Ghusn Al-Andalus Al-Rateeb, and Mention of Its Minister Lisan Al-Din ibn Al-Khatib, edited by Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, Vol.5, reprint ed.
46. Al-Mawsili, Kamal Al-Din Abu Al-Barakat Al-Mubarak ibn Al-Shi‘ar Al-Mawsili (d.654 AH), 2005, Qala’id Al-Juman fi Fara’id Shu‘ara’ Hatha Al-Zaman, also known as ‘Uqud Al-Juman fi Shu‘ara’ Hatha Al-Zaman, edited by Kamil Salman Al-Juburiya, Dar Al-Kutub Al-‘Ilmiyah, Beirut, Lebanon, 1st ed.
47. Al-Maimani, Abdul Aziz, 1950, Diwan of Suhaym ibn Al-Hasshas, Matba‘at Dar Al-Kutub Al-Misriyya, Cairo, Egypt, reprint ed.
48. Al-Wa’ili, Raad Nasser Mayyoud, 2020, Manifestations of Feminist Liberation in Andalusia: Social, Cultural, and Political Aspects, Qira’at Journal, Algeria, University of Biskra, Faculty of Arts, Vol.13/No.1.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثلاثون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ